

العقل الإبداعي بؤادر كنظرية جديدة في علم الجمال

أ. د. مصطفى عبده♦

Abstract:

The present paper's target is to cover gaps in literature on artistic creativity throughout all mind's process of creation. The prime assumption here is to hypothesize an existence of tertiary mind's power that conducts creative operations through feelings, vision, reaction, conclusion, ... etc.

While, perception can act as catalyst to philosophical problems in steps to reach the beauty status in its highest levels for the purpose of reaching valhalic illuminations, however, that can be only through the reality of beauty.

مقدمة :

ظهرت مشكلة الإبداع الفني منذ عهود الفلسفة الأولى منذ عهدها الذهبي (سقراط ، أفلاطون ، أرسطو) وتناولها الفلاسفة في فترات متلاحقة ومتعاقبة . وكانت أغلب البحوث في القديم والحديث تدور حول منشأ العمل الفني ومنبعه ، إلا أن البحوث الدراسية عن العملية الإبداعية نفسها كانت خافتة ، كما أن النظريات التي حاولت تفسير الإبداع فشلت عندما أخذت الإبداع من جانب واحد وأخذت العقل من جانب واحد أيضا . تلك النظريات التي أخذت العقل الباطني المستور وسموه (اللاواعي^١) خطأ أو التي أخذت العقل الواعي فقط أو تلك التي لم تأخذ العقل مثل نظرية الإلهام والنظرية السيكلوجية والنظرية العقلية وغيرها من النظريات .

وعليه كان بحثنا لتغطية هذه الفجوات لتفسير الإبداع الفني من خلال دور العقل في الإبداع . فكان لابد من أخذ الإنسان والعقل الإنساني بكل كياناته وقدراته الإبداعية من خلال التلقي والتعبير والتذوق من خلال التجربة الجمالية التي يعيشها الفنان في المساحة الإبداعية ويعيشها المتلقي في المسافة الفكرية . والإنسان هو الكائن الوحيد الذي له قدرة على الإبداع الرائع المتطور وبما يمتلكه من قدرة وقوة إبداعية لا فوقه ولا تحته من الكائنات .

ولهذا افترضنا عقلا ثالثا وقوة ثالثة للعقل يقوم بالعمليات الإبداعية من

♦ أستاذ علم الجماليات بجامعة النيلين.

إحساس وانفعال واستبصار واستبطان واستجابة واستدعاء وتعاطف واستشفاف وإدراك واستدلال واستقراء واستنتاج من خلال تفقه وإدراك حسي وحدسي وجمالي بما تقتضيه الضرورة الجمالية التي تفترض عقلا إبداعيا جماليا اختص الله به الإنسان دون سائر الكائنات.

الفن : أصدق أنباء التاريخ فكم من حقائق تاريخية انزوت في ظلمات التاريخ وكان الفن هو الكاشف عن تلك الحقائق ، لأن الفن تعبير الشعوب عن نفسها بنفسها لنفسها .
والفن : الفن رسالة إنسانية ووسيلة بشرية بارعة للإفصاح عن حالة الوعي الإنساني بتقديم الحل الرائع للإيقاعات الجمالية لتحقيق الروعة الإبداعية ببراعة عقل ظاهري ووعي عقل باطني وروعة عقل إبداعي .

العقل وقدراته المعرفية :

العقل مصدر عقل هو الحجر والربط والملجأ والحصن ، كما قيل إن العقل هو التمييز وبه يفترق الإنسان عن سائر الأحياء ^(١) والعقل القوة التي يتم بها الإدراك ، ويسمى الفهم والبيان عقلا وهو البصيرة والمعرفة ^(٢) .

العقل هو القوة التي يدرك بها الإنسان كل مدركاته وبه افترق عن سائر الكائنات ، وأن للعقل وجوداً حقيقياً في الإنسان ، وليس للعقل مكان في الجسم ، والعقل طاقة حيوية تحل في الجسم ، ويستخدم المخ بالقوة القائمة في النفس ، والعقل فطرة في الإنسان وقابل للتطور والتجريب والتدريب وينمي بالاكْتِسَاب ، ويعمل لهدف مقصود من خلال الإرادة .

ليس العقل جسم أو مادة ، فهو شيء آخر لا مادة له إنه تلك الطاقة الحيوية العارفة ، أما تلك الأجهزة التي يحملها الإنسان فوق كتفيه ، والحيوان في مقدمة رأسه ، والنبات في أعماقه فإنما هي أجهزة ذلك العقل .

هذه الطاقة كامنة في النواة في كل خلايا الكائنات الحية حتى تنمو وتزهر ثم تثمر حتى تصغر وتصير خطاما ، وهي كامنة في أعماق الحيوان الباطنة كقوة غريزية .

وهكذا الإنسان يستخدم قواه المفطورة فيه من النطفة الأولى حتى انفصاله عن المشيمة ، وتستمر معه كقوة عقلية تتنازع قوتان باطنية وظاهرية ، ومن خلالها يشرق العقل الإنساني فتتكون العقول الثلاثة من تلك القوة المفطورة في الإنسان .
والعقل طاقة حيوية حالة في الجسم تستخدم جهاز المخ للسيطرة على الجسم

(١) لسان العرب ، ابن منظور ص ٨٤٥ .

(٢) جامع العلوم ، أحمد فكري ص ٣٢٨ .

السيطرة الإرادية واللاإرادية من خلال القوى النفسية . فالعقل حاكم ومحكوم في نفس الوقت : حاكم للجسم ومحكوم بالمرتبة النفسية . وللنفس سبع مراتب متتالية : (الامارة / اللوامة / المبدعة الملهمة / الأمانة المطمئنة / التقية الزكية / الراضية المرضية / الكاشفة الكاملة).^(٣)

القدرة العقلية نوعان قدرة بمعنى طاقة وفيها يشترك الإنسان مع باقي الكائنات ، وقدره بمعنى تسخيري وهي القدرة القادرة على تسخير تلك الطاقات طبقا لقوانين تنظيم وجودها وما تمليه الحاجة الإنسانية لبقائها وتطورها ورفقها وإخراج القوى الإبداعية الكامنة إلى حيز الوجود ، وهذه القدرة التسخيرية خاصة بالإنسان لأنها تزواج بين القدرات العقلية الفطرية والمكتسبة.

للعقل ثلاث قوى ، لكل قوة ثلاث قدرات :

- ١- القوة الواعية تحوي : الشهود والنظر والتفكير
 - ٢- القوة الباطنة تحوي : التذكر والتدبر والتأويل . الإستنتاج.
 - ٣- القوة المبدعة تحوي : الحكمة والإبصار والتفقه.
- أما مكونات التفكير الإنساني ففيها ثلاث خطوات وثلاثة أشكال وثلاثة أنواع.
- الخطوات :**

- ١- الإحساس بالظاهرة.
- ٢- الوعي والتجريد والتعرف على الظاهرة.
- ٣- اكتشاف الحكمة الكامنة فيه.
- ٤- الأشكال : ١- التفكير الواقعي .
- ٢- التفكير الشامل .
- ٣- التفكير التجريدي .
- ٥- الأنواع : ١- تفكير منطقي .
- ٢- تفكير تجريبي .
- ٣- تفكير جمالي .

إذن للعقل مناطق لها السيطرة على القوى الإبداعية ، فتكون أهمية القدرات العقلية فاعلة في العملية البنائية الإبداعية من خلال الطاقات الإبداعية الكامنة في الإنسان والمفتورة في العقل الإنساني .

والقدرات العقلية (النامية) لها مستوياتها في التفكير الإبداعي والعمل المبدع حيث تتفاعل وتتداخل في بلورة مكونات التفكير من خلال الذاكرة العقلية .

(٣) الإيقاع السباعي ، العدد الثاني ، مجلة حوض النيل ، مصطفى عبده ، ص ١٥٠ .

والذاكرة العقلية تحوي :

١- الخيال والحفظ والتذكر.

٢- الحدس والفطرة والبصيرة.

٣- الخاطرة والومضة والإشارة.

وذلك من خلال ذاكرة مدركة وحافظة، ومن ثم عارفة لخلق الأفكار الذاتية وبلورتها جماليا وترجمتها إلى أعمال إبداعية.

أولا : صلة العاطفة والغريزة والوجدان بالعقل :

فإن كان الإحساس الجمالي ما بين تعبير وتذوق في حاجة إلى عقل يعقله ويستلهم كوامنه ، فهو في حاجة أيضا إلى وجدان قادر على استلهام ذلك الجمال وتأمله .

استطاع (كانط) أن يتحقق من أن للنفس قوى ثلاثية وهي المعرفة والنزوع والشعور ، وذلك عندما خرج من ثنائية العقل التي كان قد أخذها من (ليبنتز وفولف) لكي يسلم مع (مندلسون) بوجود قوة أو ملكة بشرية ثالثة في (الوجدان) أي الشعور ، فلم يلبث أن انتقل من فلسفته النقدية في نقد العقل النظري في المعرفة ، ونقد العقل العملي في النزوع إلى نقد ملكة الحكم في الشعور .

ويقرر (كانط) أن الذوق هو حكم جمالي قوامه الوجدان، وحرص على القول بأن المجال الجمالي هو مجال الوجدان لا مجال الإدراك والمعرفة .

إلا أننا نؤيد (ليبنتز وفولف) لما ذهبوا إليه بعدم التفرقة بين الوجدان والعقل، وذلك إذا ما فهمنا أن الذوق حكم تأملي ذو إحساس مشترك عند تلاقي الملكات الأولية في توافقها مع العقل والإرادة. وهذا الحكم التأملي مع الوجدان (تجربة تأملية) والتجربة حالة عقلية فيكون بذلك التأمل حالة عقلية. ^(٤) لأنها مفعمة بأشد طاقات العاطفة حيوية إلا أنها عاطفة تستذكر في هدوء، إذن فالعاطفة حالة وجدانية متولدة عنها .

أما (الغريزة) فإن استخدامها لها يكون بقدر وجود العواطف ، وتوجد العواطف بمقدار وجود الإرادة في الإنسان، والإرادة في الإنسان موجودة بقدر ما فيه من تعقل ، إذن العاطفة حالة وجدانية متولدة عنها كما إن الغرائز عادة عضوية مصاحبة لعاطفتها .

(٤) دور العقل في الإبداع الفني ، مصطفى عبده ص ١٢٢ .

يمكن الرجوع للمراجع التالية إرهابات العقل الإبداعي .

١- العقل في مجرى التاريخ ، علي شلق ص ٢٩ .

٢- الفن والجمال ، علي شلق ص ٤٧ .

٣- المعقول واللامعقول ، زكي نجيب محمود ، ص ٢٣ .

٤- مشكلة الإبداع الفني ، علي عبدالمعطي ، ص ١٨٠ .

٥- فلسفة المعقول ، باسمه الكيال ، ص ٣١ .

والحركات الغريزية الإنسانية صادرة عن الإرادة لأنها صادرة عن الانفعالات العاطفية ، فهي حركة عقلية متولدة عن العقل ناتجة عن طلب العقل لها . إذن العواطف حركة عقلية لا شعورية ناتجة من الشعور العقلي ، كما إن الفرائز حركة جسمية لا شعورية تابعة لحركة العواطف الناتجة عن الحركة العقلية الشعورية .

(الغريزة) هي بمثابة التمثيل الحركي لطبيعة العاطفة ، فعاطفة (الحنن) مثلا لها صلة بغريزة (البكاء) وكذلك عاطفة (السرور) لها صلة بغريزة (الإبتسامة) ، وهكذا كل العواطف لها صلاتها بالغريزة المصاحبة لها ، سواء أكانت حركة جسمية أو حركة نفسية وإذ نجد أن غريزة (الإبتسام) لعاطفة السرور لها حركة جسمية ونفسية ، وحركتها في انبساط الأسارير ولمعان في العينين . أما غريزة (البكاء) لعاطفة (الحنن) فلها حركة جسمية ونفسية ، وحركتها بتقطيب الجبين وانطفاء للعينين ، أما غريزة (الانطلاق) لعاطفة (اللذة) فلها حركة جسمية في انبساط في الجسم وارتخاء في الوجه ، وغريزة (العبوس) لعاطفة (الألم) لها حركة جسمية في توتر في الجسم وتقلص في الوجه ، والحركات (الغريزية) تتحرك مصاحبة لحفظ الذات والبعد عن الألم واستجلاب اللذة ، فهي إذن حركات تمليها ضرورة نفسية وجسدية وجمالية ، وعلى ذلك يمكن لنا أن نفسر بأن جميع الحركات الشعورية واللاشعورية بالفرائز المتحركة بعواطفها والعادات الاستمرارية ذات الأساس العقلي الإرادي .^(٥)

وهكذا تشارك العواطف العقل في كل ملكاته إلا ملكة (الاستنتاج) وبهذا نجد العواطف تزيد ولا تنفك عن الإرادة بدون إحساس استنتاجي ، وهذا هو السر في تسميتها باللاشعور مع إنها هي شعور في الحقيقة .

نخلص من ذلك بأن العقل هو المسئول عن جميع الأفعال والانفعالات سواء أكانت شعورية أو لاشعورية ، والعقل مسئول عن الأحاسيس والعواطف والانفعالات من خلال الحس المشترك .

ثانياً : دور العقل المعرفي :

المعرفة ذاتها بحث عن طبيعة العقل وخواصه ، وإمكاناته وحدوده ، ونوعية الاتصالات العقلية بالأشياء المدركة .

والمعرفة فكر والفكر إبداع فالمعرفة إبداع ، والإنسان هو الكائن القادر على الإبداع ، وهو مفتور على ذلك وفطرته تختلف عن فطرة الحيوان ، حيث يطور

(٥) مدخل إلى فلسفة الجمال ، مصطفى عبده ، ص ١٤٦ .

الإنسان أحاسيسه حتى يصل إلى درجة من الوعي تمكنه من اكتساب القيم الجمالية ، وذلك بالمران والتدريب والتجريب والتطوير حتى يغدو (كائناً إبداعياً) ، وإن لم يكن للكائنات إبداع فلا يعني هذا أن كل إنسان مبدع، بل يعني أن للإنسان قوة قابلة للإبداع وذلك من خلال :

١- قوة إدراكية بإدراك حسي من خلال عقل ظاهري.

٢- وقوة تذوقية بإدراك حدسي من خلال عقل باطني.

٣- وقدرة إبداعية بإدراك جمالي من خلال عقل إبداعي.

وهكذا يكون العقل الإبداعي (العقل الإنساني) هو الذي يوجه العقل الظاهري وينبه العقل الباطني ويوفق بينهما بإعطاء العقل القدرة الإدراكية والتذوقية والإبداعية من خلال إدراك حسي وحدسي وجمالي.

للحيوانات عقول (عقل ظاهري وباطني) ولكنها لا تمتلك العقل المبدع ، فالعناكب والنحل تبني بيوتها وخلاياها بطريقة هندسية (بارعة) ، ولكنها ليست (رائعة) ، لأنها تعمل من خلال عقل غريزي ، وذاكرة الحيوان (لحظية) لمعارف غير متطورة خارجة عن دورة الزمن . أما الإنسان فذاكرته مناسبة متطورة تسير عبر الزمان.

يمر الإدراك المعرفي عبر مراحل ثلاثة :

١- إدراك أولي للعناصر الجزئية وإعطاء للإحساس معنى.

٢- التعرف على الدلالات المعنوية.

٣- الصعود لكل من خلال الجزئيات.

يمتلك العقل الظاهري إدراكاً وأحاساساً ودهشة ، ويمتلك العقل الباطني تخيلاً وتوهماً وتذكراً ، ويمتلك العقل الإبداعي المعرفة والتأمل والتصور . ذلك العقل الذي يحول الإدراك من تخيل إلى (تصور) ، ويحول الإحساس من تذكر إلى (تأمل) ويحول الدهشة من توهم إلى (معرفة) ، وذلك بتضافر ثلاث قوى الواعية الظاهرية ، والباطنية ، والإبداعية.

لهذا نرى أن المعرفة تتحقق بالإدراك الحسي والحدسي ، (الظاهري والباطني) وكلاهما يعملان في تجاور وتجاوب وتداخل من خلال عقل حسي ظاهري يدرك الأشياء وينقلها للعقل الباطني ، حيث يخترنها ويخرجها في شكل صور ومعان فتكون المعرفة بتفاعل الكفائيتين الحسية والحدسية من خلال العقل الإبداعي.

ذلك العقل (العقل الإبداعي) أي العقل الإنساني الذي اختص الله به الإنسان دون سائر الكائنات ، فقد خلقه كائناً مبدعاً ، وأعطاه أدوات الإبداع ليكون خليفة

الله في أرضه ليعمر الأرض بالإبداع من خلال اتباع في العبادات وإبداع في المعاملات ، وليس العكس ، ليكون إنساناً صالحاً مبدعاً ، فيجب تربية الإنسان التربية الإبداعية المثلى ، ليصبح خاشعاً نقياً ومبدعاً تقياً وحرّاً وفيّاً.

العقد الإبداعي

أولاً : القاعدة النسبية الثلاثية للإبداع الفني

افترضنا هذه القاعدة النسبية الثلاثية للإبداع الفني لتأكيد ما قلناه عن دور العقل في الإبداع الفني ، وذلك بافتراض عقل ثالث للإنسان وهو العقل الإبداعي ، أي القوة الإبداعية التي اختص الله بها الإنسان دون سائر الكائنات .
١ / الإنسان عبارة عن (جسم ، وعقل ، ونفس) بالإضافة إلى الروح الإلهية والنفخة الإلهية في الإنسان ، للجسم ثلاث وسائل إدراكية :^(٦)

- ١- مرئي ومسموع (فيزيائي)
 - ٢- متذوق ومشمووم (كيميائي)
 - ٣- ملموس ومحسوس (ميكانيكي)
- وللعقل ثلاث وسائل إدراكية :
- ١- التفكير الابتكاري (عقل ظاهري)
 - ٢- المعالجة الذهنية (عقل باطني)
 - ٣- الإبداع الفني (عقل إبداعي)
- وللنفس ثلاث وسائل إدراكية :
- ١- دافعية التعبير والإبداع .
 - ٢- إمكانية التحويل والتطور .
 - ٣- القدرة على التلقي والتذوق .
- ٢ / ويتكون بناء العمل الفني من ثلاثة عناصر متضافرة وهي :
- ١- من عناصر البناء : (شكل / تكوين / وسائل بنائية)
 - ٢- ومن وسائل تعبيرية : (نظرية / أدائية / معنوية)
 - ٣- ومن قيم فنية : (اتزان / انسجام / إيقاع)
- ٣ / والفنون تنقسم لثلاث مجموعات لكل منها ثلاثة أقسام :
- أ- فن قولبي :

(٦) دور العقل في الإبداع الفني ، مصطفى عبده ، ١٣٥-١٣٨ .

- ١- الشعر والنثر (لفظي).
- ٢- الخطابة والحكاية (معنوي).
- ٣- الدراما والسينما (حركي).
- ب- فن نغمي :
 - ١- موسيقى (سمعي).
 - ٢- تصوير (مرئي).
 - ٣- رقص (حركي).
- ج- فن تشكيلي :
 - ١- نحت (أضواء وظلال).
 - ٢- عمارة (كتلة وفراغ).
 - ٣- تصميم (انسياب حركي).
- ٤/ يكتمل العمل الإبداعي من خلال مفاهيم ثلاثة :
 - ١- المهارة التطبيقية والعملية (براعة).
 - ٢- الإبداع وفق قوانين الجمال (وعي).
 - ٣- الروعة الجمالية والتأملية (روعة).
 ويسلك في ذلك ثلاثة طرق :
 - ١- تقويم ٢- تعديل ٣- سيطرة
 بتوفر ثلاثة عوامل كامنة :
 - ١- في الإنسان.
 - ٢- في الكون.
 - ٣- في الأشياء.
- ٥/ مراحل الإدراك الجمالي :
 - ١- إدراك : حسي وحسني وجمال.
 - ٢- قوة واعية وتذوقية وإبداعية.
 - ٣- قدرة : مفكرة ومدبرة ومتفحهة.
- ٦/ مكونات التفكير الإنساني :
 - ١- خطوات : إحساس ووعي واكتشاف.
 - ٢- أشكال التفكير : شامل وواقعي وتجريدي.
 - ٣- أنواع التفكير : منطقي وتجريبي وجمالي.
 - ٧- ملكات العقل الثلاثة :

- ١- ملكة الإرادة : إدراك وعاطفة وإحساس ، لأفكار منكوتة.
 - ٢- ملكة الذاكرة : حفظ وخيال وإستدعاء ، لأفكار منطبعة.
 - ٣- ملكة الإستنتاج : تغيير وتذوق وذكاء ، لأفكار تأملية.
 - ١/ ملكات النفس عند مندلسون :
 - ١- إرادة ٢- عقل ٣- وجدان
 - ٢- ملكات النفس عند كانط :
 - ١- معرفة ٢- نزوع ٣- شعور
 - ٢- والتذوق عند كانط :
 - ١- تذوق ذاتي ٢- ذوق كلي ٣- حكم شعوري
 - ٤- المعرفة البشرية عند أرسطو :
 - ١- نظرية ٢- معرفية ٣- فنية
 - ٥- المعرفة عند جون لوك :
 - ١- حسية ٢- وجدانية ٣- تأملية
 - ٦- مكونات العمل الفني عند باريت :
 - ١- إدراك ٢- أداء ٣- تركيب
 - ٧- المعرفة البشرية عند باركلي :
 - ١- أفكار منطقية ٢- أفكار من الذاكرة ٣- أفكار تأملية
- وإذا ما تأملنا هذه الملكات المعرفية عند هؤلاء الفلاسفة نجد أن ما يندرج تحت الرقم (١) يناسب العقل الظاهري ، وما يندرج تحت الرقم (٢) يناسب العقل الباطني ، وما يندرج تحت الرقم الأخير (٣) يناسب العقل الإبداعي.
- إذن : التفكير والإرادة وقوة الإحساس للعقل الظاهري ، والتذكر وقوة الاستبطان للعقل الباطني ، والاستنتاج وقوة الخلق الإبداعي للعقل الإبداعي وبهذا نجد أن القاعدة النسبية للإبداع الفني تؤكد افتراض وجود قوة ثالثة هي العقل الإبداعي الذي من خلاله أبدع الإنسان إبداعاته.
- فتالوث الإبداع الفني ثالوث متصاعد.
- ثانيا خصائص العقل الإبداعي : نجد تساؤلات عدة عن وجود عقل ثالث تتجاوز قوته قوة العقلين الظاهري والباطني^(٧).
- ومن أين يستمد العقل قوته الإبداعية وعن اختلافه عن باقي الكائنات وكيف اختلف عنها ؟

(٧) مدخل إلى فلسفة الجمال ، مصطفى عبده ، ص ١٥٢ .

وهل هو عقل فني ؟ أم فوق الواقعي ؟ أم هو فطري ؟

ولوجود هذه الإرهاسات والتساؤلات لعدة علماء ومفكرين افترضنا وجود هذا العقل الذي تميز به الإنسان عن باقي الكائنات وسميناه العقل الإبداعي . وهذا العقل الإبداعي يتدرج من عقل فني ثم إبداعي وأخيراً جمالي .

أولاً : للحيوانات عقول ولكنها لا تبدع لأنها لا تمتلك هذه القوة الإبداعية . كما أن العقلين (الظاهري والباطني) خصائصهما حتى لدى الإنسان أنهما لا ينتجان إبداعاً إلا بإضافة قوة ثالثة لهما تتسق بينهما وتربطهما ليكون هذا العقل هو منبع وأصل وعلة الإبداع الفني ومنه تتخرج الإبداعات .

ثانياً : كل إنسان فنان لأنه إنسان يمتلك بالفطرة هذا العقل الفني ، وهو عقل خاص بالإنسان وعام لعموم الناس ، والمبدع هو الذي يمتلك هذا العقل الفني الذي يتطور إلى إبداعي ثم يترقى إلى عقل جمالي خاص .

ثالثاً : نستخلص مما قلناه عن العقل وقدراته المعرفية وامتلاكه للقوة الإبداعية واكتسابه للقيم الجمالية ، وما جملناه عن القاعدة النسبية الثلاثية ، نؤكد وجود هذه القوة الإبداعية أي (العقل الإبداعي) وهذه القوة كامنة مفضورة في الإنسان وقابلة للنمو والتجريب والاكْتِسَاب والإبداع ، ومن خلاله تكشف مواهب المبدعين فأبدعوا على ما فطروا عليه ، فكان الشاعر والموسيقي والنحات والمهندس بدرجات إبداعية متفاوتة بقدر ما تكشف له وبمقدار ما اكتسب ، وأبدع فناً واعياً وبارعاً ورائعاً .

وتقسيمنا للعقل التقسيمات الثلاث ليس تقسيماً للعقل ، بل هو تجميع له ، وذلك بجمع الحركات العقلية تحت قوة واحدة وهي القدرة العقلية التي تتدرج تحتها كل القدرات الإنسانية وملكاته الإبداعية .

فالعقل (الإبداعي) عبارة عن قوة إبداعية حالة في العقل تعطي للعقل المباشر (الظاهري) قوة إدراكية وتنشط قوى الذاكرة في العقل (الباطني) . وهذه القوى الذهنية تحل في جهاز (المخ) ويكون الجسد خاضعاً للعقل عن طريق هذه القوى من خلال القدرة القائمة في النفس ، وهكذا نجد التردد داخل مثلث الإنسان (نفس وجسم وعقل) لاستخدام تلك القوى الإبداعية الحالة في العقل .

والعقل الإبداعي الذي افترضناه هو الإجابة عن السؤال (الكانطي) عندما تساءل عن الذي يمكن أن أعمله ؟ من خلال نقده للعقل العملي ، بقي تساؤله ما الذي يمكن أن أعمله ؟ قائماً فإن كان ما أعرفه من العقل النظري أي الظاهري وما يمكن أن أعمله من العقل العملي (الباطني) يكون ما يمكن أن أمله من العقل الإبداعي .

والعقل الإبداعي هو الذي يعرف في توظيفه للعقل الظاهري ، ويعمل من خلال ما اختزنه في العقل الباطني عندما يعبر الباطن عن الماضي والظاهر عن الحاضر فيكون العقل الإبداعي هو استشراق للمستقبل من خلال ماض وحاضر يتجدد ، يكون ذلك عندما يحتوي العقل الإبداعي على خصائص العقلين ويسيطر عليهما ويتكاملان في عقل إنساني مبدع.

وهذا العقل الإبداعي هو جامع بين خصائص العقلين ومتولد عنهما وخارج منهما ، ولكنه ليس هو هما بل هو شيء ثالث ينتج عنهما ويحويهما ويولد خصائص جديدة متولدة.

خصائص العقل الإبداعي : (٨)

- ١- احتواؤه على خصائص العقلين (الظاهر والباطن).
- ٢- التحكم في العقل الظاهري والسيطرة على العقل الباطني.
- ٣- دفع الظاهري للإدراك ، واستخراج المدركات من الباطن.
- ٤- تنظيم الاتصال والتناسق بين العقلين.
- ٥- الاتجاه نحو الاكتشاف والابتكار والخلق.
- ٦- كشف دروب الترقى والسمو والاستعلاء.
- ٧- النزوع المستمر نحو الجمال والتطلع للكمال.
- ٨- توجيه النفس نحو الجمال والتطلع للكمال.
- ٩- الإحساس الجمالي ، والشعور الذوقي ، والإبداع الجمالي.
- ١٠- تحويل المدركات إلى إدراك جمالي.
- ١١- إمتلاك القدرة الإبداعية للتوصل للروعة الإبداعية.
- ١٢- إكساب الظاهري القدرة الإدراكية ، والباطني القدرة التدوقية.
- ١٣- توجيه الأحاسيس والانفعالات الوجدانية وضبطها.
- ١٤- احتواء البصيرة وتوجيه الحدس نحو الاستبصار.
- ١٥- يحوي الحب والإيمان والخشوع.
- ١٦- يحوي العقل (الفني والإبداعي والجمالي).
- ١٧- الإحساس التأملي للوجدان.
- ١٨- تحريك المشاعر نحو الإلهام واقتناص الومضات.
- ١٩- تحقيق الغايات الواعية للفريزة وضبطها.

(٨) دور العقل في الإبداع الفني ، مصطفى عبده ، ص ١٥٢-١٥٣ .

- ٢٠- احتوائه للقانون الأخلاقي.
 - ٢١- ارتياد الأماكن التي يصعب على العقليين ارتيادها.
 - ٢٢- توجيه واع للعمليات واستخراج الكامن من الكائن.
 - ٢٣- اكتساب القيم الجمالية من خلال الإدراك الجمالي والقدرة الإبداعية.
 - ٢٤- التفاعل بين الإدراكات (حسية ، حدسية ، جمالية).
 - ٢٥- التآلف بين القدرات الإدراكية والتذوقية والإبداعية.
 - ٢٦- الإحاطة الإدراكية بالأشياء وكشف خصائصها.
 - ٢٧- إعطاء السند العقلي للقيم الجمالية وعلم الجمال.
 - ٢٨- احتواء الخصائص الشعورية والوجدانية والعاطفية.
 - ٢٩- القدرات القادرة على النمو.
 - ٣٠- إيجاد الصلة بين الكون والحياء والإنسان والتوجه للرحمن.
- وهذا العقل (الإبداعي) الذي ميز الإنسان عن باقي الكائنات ، هو (الأمانة) التي أثبتت السموات والأرض والجبال أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان.
- وبوجود هذا العقل الإبداعي يمكن لعلم الجمال أن يستند إلى السند العقلي في حل مشكلاته الفلسفية.
- يقول تعالى : ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا﴾.
- وإن لم تكن لتلك الكائنات (السموات والأرض والجبال) عقول وفهم لما عرض عليها الله الأمانة وقد أبين أن يحملنها وقد أشفقن منها . فحملها الإنسان لأن له عقلاً إبداعياً ليتحمل به تلك الأمانة.

أدوار العقل الإبداعي

- للعقل الإنساني (الإبداعي) دور مهم وحاسم في الإبداع الفني وقد اتضح ذلك من المباحث السابقة ونجد أن هذا الدور يبرز ويتضح أكثر من خلال ثلاثة محاور:
- ١- احتواء العقل الإبداعي خصائص جديدة.
 - ٢- دوره في منشأ الإبداع وتجارجه في أشكال إبداعية.
 - ٣- محاولته في حل مشكلة الزمن في الفنون المكانية.
- أولاً : احتواء العقل الإبداعي لخصائص جديدة :**
- يحتوي العقل الإبداعي : البصيرة والعاطفة والوجدان مع احتوائه للخصائص

الجمالية في اكتساب القيم الجمالية والإدراك الجمالي ، والقدرة الإبداعية كما أن للعقل الإبداعي خصائص جعلناها في ثلاثين خصيصة .^(٩)

ثانياً : دور العقل وعلّة الإبداع :

قدمنا عرضاً للنظريات التي حاولت تفسير الإبداع الفني في المبحث الأول والنظريات هي نظرية الإلهام والنظرية السيكلوجية والنظرية العقلية ، وقد فشلت جميع هذه النظريات في تفسير الإبداع الفني وإهملت الجوانب الأخرى ، كما أنها أخذت العقل من جانب واحد ولم تأخذ بكل كفاياته وعليه نجمل تساؤلاتنا في ثلاثة أسئلة :

السؤال الأول : عن المنبع ومنشأ العمل الفني ؟

السؤال الثاني : عن علّة الإبداع الفني ؟

السؤال الثالث : عن كيفية حدوث الإبداعات الفنية ؟

ولنتتبع الإجابة من خلال قدرات العقل الإبداعي في العملية الإبداعية وهذه الإجابات تقوي افتراضنا للعقل الإبداعي.

أولاً : منبع الإبداع الفني لا يأتي من قوى غيبية ، وليس الإبداع هبة من ربات الفنون الأسطورية وليس إلهاما من وادي عبقر ، وليس من خلال عقل منفلق أو من خلال اللاوعي أو من عقل جمعي ، ولا ناتجا من الجانب المظلم للعقل ومن خلال كبت جنسي أو منحدرًا من الأسلاف ، كما أسلفت النظريات التي حاولت تفسير الإبداع الفني.

وما نراه أن الإبداع الفني نابع من الفنان نفسه في توحده الدينامي النامي والمتفاعل مع بيئته الداخلية والبيئة الخارجية ذات الأبعاد الاجتماعية والتاريخية والعقائدية والحضارية ، وذلك من خلال ما فطر عليه الإنسان من بذرة إبداعية في عقله وكل إنسان يمتلك قدرا من الإبداع جبل عليه واختصه الله به.

إذ أن الإنسان نفس تتفاعل وعقل مدرك ، حيث تتحول هذه الإدراكات إلى معان إدراكية وصور جمالية ، وذلك بتفاعل العقل الظاهري والباطني من خلال قوى العقل الإبداعية ، وفي تفاعل الإدراك والإحساس ما يحفز الفنان لابتدع وليحقق ذاته المنفعلة المدركة ، حيث تتلاقح الإدراكات الحسية لتكتسب معاني جمالية جديدة تتضافر للمعارف الباطنية فيعمل العقل الإبداعي لدفع الفنان نحو الإبداع.

(٩) ارجع لمدخل إلى فلسفة الجمال ، مصطفى عبده ، ص ١٥٤-١٥٥ .

إذن فمنبع الإبداع الفني من داخل الفنان ومن خلال عقله الفني الذي فطر عليه كإنسان ، وما اكتسبه من أطر خارجية ومن خلال تفاعلها استطاع الإنسان الفنان أن يطور عقله الفني إلى عقل إبداعي ومن ثم وظف هذا العقل وأعدده ليكون منبعاً للإبداع ونبعاً للقيم الجمالية ، وذلك مما يجده في نفسه وما وجدته فيما حوله في اتصاله وتفاعله بالطبيعة الرحبة والكون الفسيح.

ثانياً : أما عن الإجابة عن علة الإبداع الفني فنجد أن العلة في الفنان نفسه كامنة فيه ليس كمونا في العقل الباطني فقط أو وجوداً في العقل الظاهري فحسب ، بل هو كائن في كليهما يتخذ شكلاً خاصاً كل على حسب خصيصيته .

والعقل الإبداعي هو الذي يؤلف بينهما فيتكاملان من خلاله ، وعندئذ ينفع الفنان بمؤثر داخلي أو خارجي من خلال وعيه عند تكامل شخصيته مع البيئة الخارجية وما اكتسبه من خبرات ومضامين فتتفاعل كل هذه الكيانات مكونة علة الإبداع التي تدفع العقل نحو الإبداع ، وذلك بترابط الكيانات الداخلية والممارسات الخارجية فتتضافر العقول الفنية في تضامنها مع الإحساسات والمدرجات فتنتج معرفة جمالية ، حيث تتحول الخيالات والأحلام إلى تصورات جمالية مكونة علة وحافزاً للفنان ودافعاً له للإبداع الفني.

ثالثاً : أما كيفية حدوث الإبداعات وتخرجها في أشكال فنية فهي تحدث من خلال قدرة الفنان الإبداعية وامتلاكه لها حيث يتم التفاعل بين العقلين (الظاهر والباطن) من خلال العقل الإبداعي يمكنه اكتساب معارف وخبرات جمالية وامتلاك لقدرة إدراكية وتدوقية وجمالية التي توصل الفنان إلى توازن يمكنه من إحداث إبداع ، وذلك باستغراقه في العملية الإبداعية لتحقيق الإبداع الفني ، عندما يكون داخل المساحة الإبداعية ليقوم بالأداء الفني التنفيذي بالإبداع وإعادة الإبداع والتشكيل المستمر.

هذا الجانب الأدائي والتنفيذي أغفلته النظريات المفسرة للإبداع الفني ، لما فيه من عمليات عقلية متضافرة تتطلب قدراً كبيراً من الوعي والإدراك والإرادة والقصد والالتزام والحرية والتدريب ، والاكتساب المستمر في تضافر مع الإحساسات الحسية والحدسية (الظاهرية والباطنية والإبداعية).

وهكذا يمكن للعقل الإبداعي أن يجد حلاً لمشكلة فلسفية هي من أعقد مشكلات علم الجمال والتي كمنّت في المغالطة المنشئية وكيفية حدوث الإبداعات وتخرجها إبداعياً.

وتحل هذه المشكلة إذا ما أخذنا الإبداع الفني على أنه عمل من أعمال العقل الإنساني يتم من خلال العمليات العقلية بكل أبعادها الحسية والانفعالية والإدراكية والعاطفية والإبداعية ، فمن العقل تتخرج الأعمال الإبداعية وإليه تعود في شكل إحساسات جمالية ، وهكذا تتم (الدورة الإبداعية) من عقل إلى عقل من خلال توجيهات العقل وهكذا اتضح دور العقل الإبداعي في الإبداع الفني.

ثالثا محاولة العقل في حل مشكلة الزمن في الفنون المكانية.

الفن التشكيلي Visual-art أي الفنون المرئية وهي ما نطلق عليها بالفنون المكانية بحكم موادها الجامدة في المكان ، ولهذا حاول الفنان إحداث حركة في محاولته لحل مشكلة الزمن في الفنون التشكيلية ، حيث حاول الإنسان الأول (الشامان) أن يصور التسلسل الزمني بتصوير مجموعة من الصور المتجاورة لمواقف متتالية. وقد قنع الناس بفكرة الإحياء بالزمن عن طريق الحركة الممتدة من خلال اللحظة المجمدة كما قنع (فن الباروك) بالمغزى الدرامي ، وقد اقتنع الرومانتيكون بالمغزى الشعوري للحركة.

إلا أن الفنان المعاصر لم يعد يقنع بهذا ولذا كان لابد من استخدام لغة فنية جديدة بمفردات جديدة وأن يكتشف لنفسه لغته التشكيلية الخاصة التي تستوعب الزمن في حركتها الممتدة ، وهو ما نطلق عليه بالإيقاع الداخلي للأشياء بدون أن يتأثر الشكل نفسه بهذه الحركة لإنتاج موسيقى مرئية. الفنون الزمانية (من شعر ودراما وموسيقى) موسيقاها موسيقى مرئية سمعية ، أما الفنون المكانية فموسيقاها موسيقى مرئية لا صوتية ترى بالعين من خلال الحركة البصرية ، وهي الحركة غير الصوتية التي تنتج عن تولد الأشكال من بعضها ، وهي الحركة الذاتية التي تنتج من التولد بتجاور لوني وانفجار الألوان الداخلية وانسياب الخطوط المتحركة وتبادل الظلال والأضواء والكتلة والفراغ وهي الحركة البصرية ، وكل الفنون تهفو إلى حالة موسيقية وهذه الحركة الذاتية والموسيقى المرئية يدركها الذهن من خلال الخطوط المتحركة في تداخلها المترابط والتقاطع المتداخل والانسحاب المتتابع ، وهو البعد الرابع الذي لا يستوعبه العقل الظاهري ولا العقل الباطني ، بل من اختصاصات العقل الإبداعي ، إذ يتمكن من خلال قدراته التأملية أن يستوعب البعد الحركي . وللفنون التشكيلية موسيقاها الخاصة بها فهي (دائمة العزف) ، لأن الموسيقى الصوتية لا تسمع إلا عندما يعزفها عازف أو يستنطقها ناطق ، أما الموسيقى غير الصوتية فهي كامنة في

العمل الفني نفسه وهي دائمة العزف ما بقي العمل الفني ، وهي باقية ببقاء العمل الفني نفسه وليس بإبقاء الفنان لها . وهكذا حاول العقل الإبداعي حل مشكلة الزمن في الفنون التشكيلية وهي مشكلة كانت تؤرق الفنانين عبر عصور الفن المختلفة .

الإيقاع الموسيقي للفنون التشكيلية

التشكيل	الشكل الفني	اللون الموسيقي	نوع الإيقاع	النغم الصادر
الزخرفة	تكرار متماثل	زخرفي	رتيب	مطرّد
التلوين	تفجر الألوان الداخلية	لوني	متناغم	متولد
العمارة	اتزان الكتلة والفرغ	هندسي	متبادل	متنوع
الرسم	حركة الخطوط المناسبة	حركي	منسب	متتال
النحت	تبدل الظلال والأضواء	ضوئي	مرئي	متوال

كل الفنون تهفو إلى حالة موسيقية ، والموسيقى لا تقلد شيئا ، أما باقي الفنون فهي تحاول إيجاد هذه الموسيقى في كيانها الداخلي بالتوازن الهندسي والإنسجام العقلي ، لايجاد الإيقاع الجمالي وهي مهمة العقل الإبداعي لسلوك الطريق الجمالي للإبداع الفني .

وبهذا نصل إلى خلاصة أن للعقل الإنساني دورا مهما وحاسما وفعالا في الإبداع الفني ، فهو منبع الإبداع الفني وعلته ومنه تتخرج الإبداعات الفنية والعلمية .

وقد أخذت النظريات التي حاولت تفسير الإبداع الفني العقل من جانب واحد حيث نجد إن النظرية العقلية أخذت العقل من جانبه (الواعي) ، كما أخذت نظرية الإلهام والنظرية السيكلوجية الإبداع الفني من جانب العقل (اللاشعوري) . ولكن يجب أخذ العقل الإنساني من كل جوانبه وبكل كفاياته وعدم الإكتفاء

بكفاية واحدة ، ولهذا أخذنا الإبداع الفني من كلا جانبي العقل الواعي واللاشعوري أي العقل (الباطني والظاهري) بإضافة قوة ثالثة تتمثل في القدرة الإبداعية حيث أطلقنا على هذه القوة (العقل الإبداعي).

وهذا العقل الإبداعي مفطور في الإنسان حيث اختص الله به الإنسان دون سائر الكائنات فأبدع إبداعاته بما خلق فيه من عقل إبداعي قادر على الإبداع تتناغم فيه أوتاره الداخلية مع أنغام الأنشودة العلوية الخالدة لتتناسق مع الإيقاعات الجمالية وتتحد مع الروعة الإبداعية ، فيشعر بالنعيم المحسوس والمرئي والمسموع لأنغام الروعة الجمالية.

وبوجود هذا (العقل الإبداعي) الذي يحوي كل الخصائص الإنسانية ينتهي التناقض الذي سار عبر عصور الفلسفة بين المادية والمثالية.

وأمكن لعلم الجمال أن يستند إلى القوة العقلية لاحتوائه على الخصائص العقلية والمعرفية والوجدانية ، وبهذا يفتح الباب أمام العقل ليباشر مهامه الإبداعية ويكون دوره فعالاً في الإبداع الفني.

وهكذا يتخطى علم الجمال الصعوبات التي كانت تعترضه في تفسير الإبداع الفني من خلال العقل في حل مشكلاته الفنية ، وبهذا يتحقق الإبداع الفني من خلال العقل الإبداعي.

وبهذا يمكن أن نصل إلى ثلاث نتائج :

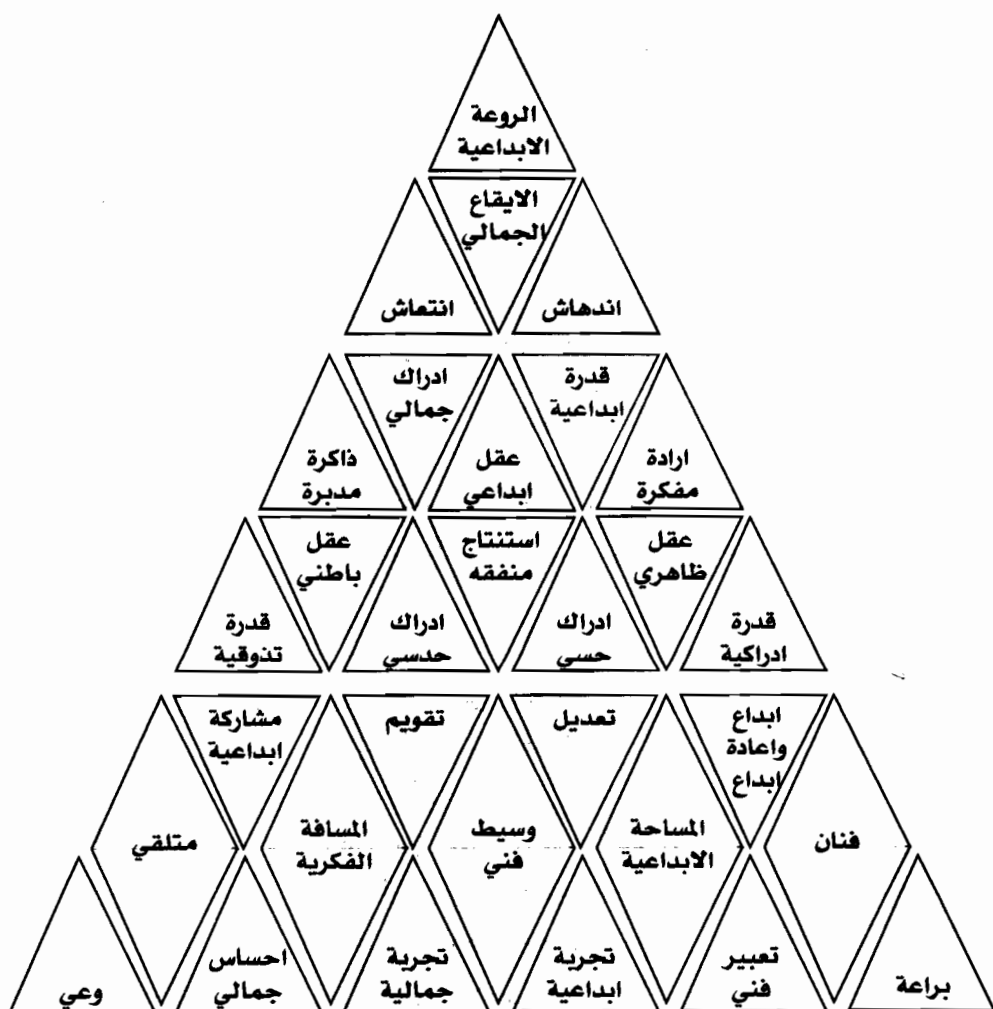
١- بؤادر لنظرية جديدة في فلسفة الفن والجمال.

٢- محاولة لحل المشكلة العقلية في علم الجمال.

٣- افتراض قوة ثالثة للعقل الإنساني (العقل الإبداعي).

وعليه يمكن وضع علم جمال من خلال منظور إسلامي من خلال مراحل ثلاثية متتالية وذلك بنقد النظريات القديمة والمعاصرة من خلال مناهجها، نقد الفكر الغربي من خلال مناهج إسلامية بوضع مفهوم جديد لعلم الجمال من خلال التصور الإسلامي للقيم (الحق والخير والجمال).

وكل النفوس تهفو إلى حالة جمالية لترتقي في المداير العلوية حتى تلتقي بالأنوار الإلهية . وذلك من خلال الحقيقة الجمالية ، فالحق هو تحقيق للجمال والخير صفته ، والمنطلق تحديد للجمال والموسيقى تعريف للجمال ، والتشكيل إبراز للجمال والشعر وصف للجمال ، والموسيقى صوت للجمال ، والإيقاع نغمته ، والتفقه معرفته والتصوف محبته والذكر ترنيمته والكمال بغيته والنور حقيقته ، والرحمن هو مصدر الأنوار والجمال والجلال والكمال.



القاعدة النسبية الثلاثية للإبداع الفني

ملحوظة : المراجع الأساسية لهذا المقال :

- ١- فلسفة الأخلاق ، مصطفى عبده ، ط ٢ ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ١٩٩٩م.
- ٢- المدخل إلى فلسفة الجمال ، محاور نقدية وتحليلية وتأصيلية ، مصطفى عبده ، ط ٢ ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ١٩٩٩م.
- ٣- دور العقل في الإبداع الفني - العقل الإبداعي ، مصطفى عبده ، مطبعة جامعة النيلين ، الخرطوم ، ١٩٩٦م.

المراجع

- ١/ إرنست كاسير : فلسفة الحضارة الإنسانية أو مقال في الإنسان ترجمة إحسان عباس ، دار الأندلس ، بيروت ، ١٩٦٥م.
- ٢/ أندريه لالاند : (العقل والمعايير) ترجمة نظمي لوقا .
- ٣/ باسمة الكيال : (أصل الأنواع وسر الوجود وفلسفة العقول) منشورات مكتبة الهلال ، بيروت ١٩٨٣م.
- ٤/ تشارلز فيرست : (الدماغ والفكر) ترجمة محمود سيد ، دار المعرفة دمشق ، ١٩٨٧م.
- ٥/ جان بارتليمي : (بحث في علم الجمال) ترجمة أنور عبدالعزيز ، دار النهضة القاهرة ، ١٩٧٠م.
- ٦/ جان ماري جوير : (مسائل فلسفة الفن المعاصر) ترجمة سامي الدروبي ، دار اليقظة العربية ، بيروت ١٩٦٥م.
- ٧/ جورج سانتيانا : (الإحساس بالجمال) ترجمة محمد مصطفى بدوي ، مكتبة الأنجلو المصرية.
- ٨/ جيروم ستولنيتز : (النقد الفني - دراسة جمالية) ترجمة فؤاد زكريا ، الهيئة المصرية للكتاب ، ١٩٨١م.
- ٩/ خليل ميخائيل : (القدرات العقلية) دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٩م.
- ١٠/ زكريا إبراهيم : (دراسات في الفلسفة المعاصرة) القاهرة ، ١٩٦٨م.
- ١١/ زكريا إبراهيم : (فلسفة الفن في الفكر المعاصر) القاهرة ، ١٩٦٢م.
- ١٢/ زكي نجيب محمود : (المعقول واللامعقول) ، دار الشروق ، بيروت .
- ١٣/ زين العابدين درويش : (تتمية الإبداع) دار المعارف بمصر ، ١٩٨٣م.
- ١٤/ سيد حسن حسين : (التعبير الفني والتربية) مكتبة النهضة القاهرة .
- ١٥/ عبدالجبار وائل : (وحدة الوجود العقلية) ، بيروت ، ١٩٨٣م.

- ١٦/ علي شلق : (العقل في مجرى التاريخ) ، بيروت ، ١٩٨٥م.
- ١٧/ علي عبدالمعطي : (مشكلة الإبداع الفني) ، دار المعرفة الإسكندرية ، ١٩٨٥م.
- ١٨/ الفزالي (أبو حامد) : (إحياء علوم الدين) ، مطبعة الحلبي ، القاهرة ، ١٣٥٨هـ.
- ١٩/ كانط (أمانويل) : (نقد العقل المجرد) ترجمة أحمد الشيباني ، دار اليقظة ، بيروت ، ١٩٦٥م.
- ٢٠/ محمد علي أبو ريان : (فلسفة الفن ونشأة الفنون الجميلة) القاهرة ، ١٩٧٧م.
- ٢١/ محمود زيدان : (كانط وفلسفته النقدية) دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ١٩٦٨م.
- ٢٢/ مصطفى سويف : (الأسس النفسية للإبداع الفني) دار المعارف بمصر ، ١٩٥٩م.
- ٢٣/ مصطفى عبده : (أثر العقيدة في منهج الفن الإسلامي) ، بيروت ، ١٩٩٠م.
- ٢٤/ مصطفى عبده : (دور العقل في الإبداع الفني) جامعة النيلين ، ١٩٩٦م.
- ٢٥/ مصطفى عبده : (مدخل لفلسفة الجمال) مطبعة مدبولي القاهرة ، ١٩٩٩م.
- ٢٦/ مصطفى عبده : (فلسفة الأخلاق) ، مطبعة مدبولي القاهرة ، ١٩٩٩م.